جامعة تكريت
كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم التربية الفنية

المرحلة: الثالثة
المادة: طرائق تدريس التربية الفنية
مدرس المادة: م. عزالدين محمود خلف جواد الجبوري
العام الدراسي: 2025 / 2026 م

المحاضرة العاشرة: التذوق الفني والتحليل الجمالي للأعمال الفنية

الأسس النقدية، المناهج العلمية، واستراتيجيات التذوق في المرسم المدرسي

أولاً: المقدمة والمدخل المفاهيمي

يُعد التذوق الفني والتحليل الجمالي أحد الأركان الأربعة الأساسية لتربية الفن (الإنتاج الفني، التاريخ الفني، النقد الفني، والجماليات)، حيث يمثل الجانب الوجداني والإدراكي المحوري الذي يُحيل ممارسة التربية الفنية من مجرد اكتساب مهارات يدوية وآلية صماء إلى عملية تفاعلية ثقافية متكاملة. إن الهدف الأسمى لعملية التذوق الفني داخل البيئة التعليمية يتجسد في بناء الشخصية المتوازنة للطالب، وتنمية حساسية إدراكية مرتفعة تمكنه من الاستجابة للقيم الجمالية والرمزية المودعة في المنتج الفني، وسبر أغوار المعاني التي يختزنها العمل التشكيلي.

ولا يقتصر التذوق الفني على الاستحسان الشكلي السطحي أو الاستجابة العاطفية العابرة، بل يتطلب مراناً ذهنياً ونقدياً مدروساً يعتمد على تفكيك عناصر اللوحة أو المجسم الفني، وقراءة مفرداته السيمائية، والربط بين الخصائص البنيوية والمضامين الفكرية والروحية التي يعبر عنها الفنان.

ثانياً: التطور التاريخي والمفاهيمي للتذوق والجماليات

مر مفهوم الجمال والتذوق بمراحل علمية وفلسفية متتالية أثرت بوضوح في طرائق تدريسه داخل المناهج التربوية:

- **المرحلة الفلسفية الكلاسيكية:** ربط فيها الجمال بالقيم المطلقة المتمثلة في التناسب والانسجام والتناغم (كما عند أفلاطون وأرسطو)، حيث اعتبر التذوق قدرة عقلية على إدراك القوانين الهندسية والنسب الذهبية في الطبيعة والفن.
- **المرحلة الاستطيقية الحديثة:** مع بزوغ الفلسفة الاستطيقية كعلم مستقل على يد "بومجارتن" و"كانط"، تحول الاهتمام إلى الاستجابة الذاتية والخبرة الجمالية الخالصة التي تقوم على الحكم التذوقي المحايد عن المنفعة المادية المباشرة.
- **المرحلة السيكولوجية والإدراكية:** ظهور علم نفس الفن ونظريات الجشطلت (Gestalt psychology)، التي أكدت أن التذوق البصري يعتمد على القوانين الكلية للإدراك (كالتقارب، التشابه، الاستمرارية، والإغلاق) وأن العين تدرك الكل المتكامل قبل تفكيك الأجزاء.

- **المرحلة المعاصرة والسيميولوجية**التعامل مع العمل الفني بنحسبه منظومة علامات ورموز بصرية تحتاج إلى فك شفرات (Decoding)، مما يتطلب معرفة بالسياقات الثقافية والاجتماعية والتاريخية للعمل الفني.

حقيقة تربوية: التذوق الفني ليس موهبة فطرية مغلقة على فئة محددة، بل هو مهارة مكتسبة وقابلة للتنمية والتطوير من خلال الممارسة المنظمة، التحليل البصري المستمر، والحوار النقدي الموجه.

ثالثاً: المقومات والأبعاد الأساسية للخبرة الجمالية

تتألف الخبرة الجمالية والتذوقية لدى الطالب أثناء مواجهته للعمل الفني من أربعة أبعاد متداخلة ومتكاملة:

1. **البعد الإدراكي الحسّي (Sensory Dimension):** يتعلق بالاستجابة المباشرة للمثيرات البصرية الأولية كالخطوط، الألوان، الملامس، والأشكال دون الخوض في معانيها المركبة.
2. **البعد الشكلي والبنيوي (Formal Dimension):** و يتناول كيفية تنظيم العلاقات البصرية داخل السطح الفني، كالتحليل القائم على التوازن، التباين، الإيقاع، السيادة، والوحدة التشكيلية.
3. **البعد التعبيري والرمزي (Expressive Dimension):** و ينصب على الحالة النفسية والانفعالية التي ينقلها العمل الفني (كالهدوء، الاضطراب، الحزن، القوة) ودلالات الرموز المستخدمة.
4. **البعد السياقي والحضاري (Contextual Dimension):** يشمل فهم الظروف التاريخية والاجتماعية والفلسفية التي أُنتج فيها العمل الفني، والتأثيرات البيئية والتراثية الواقعة على الفنان.

رابعاً: المناهج والنماذج العلمية للنقد والتذوق الفني

تتعدد النماذج المعتمدة في تدريس التذوق والنقد الفني، ويُعد نموذج "إدموند فيلدمان" (Feldman Model) ونوذج "ميتزياس" من أبرز النماذج التربوية المطبقة في المرسم المدرسي لتوجيه تفكير الطلبة:

1. نموذج فيلدمان للنقد الفني (Feldman's Model of Art Criticism):

- **مرحلة الوصف (Description):** جرد محايد وعلمي لكافة العناصر والمحتويات المرئية داخل العمل (الأشخاص، الأجسام، الألوان، الأشكال) دون إبداء أي رأي شخصي أو حكم قيمّي.
- **مرحلة التحليل (Analysis):** دراسة كيفية تفاعل وتنظيم تلك المفردات والمركبات باستخدام أسس التصميم (كيف يتحقق التوازن؟ أين يتجه مركز السيادة؟ كيف تكرر الإيقاع اللوني؟).
- **مرحلة التفسير (Interpretation):** العبور من الشكل المادي إلى المعنى والرسالة الجمالية (ماذا يقصد الفنان؟ ما هي الفكرة الفلسفية أو العاطفة الكامنة خلف اللوحة؟).
- **مرحلة الحكم والتقويم (Evaluation):** إصدار حكم نقدي موضوعي حول القيمة الفنية للعمل استناداً إلى معايير وأطر جمالية محددة، وليس لمجرد الإعجاب الشخصي.

2. نموذج جيتزلز وكسيكسينتميهالي للتفكير الجمالي:

يركز هذا النموذج على تتبع المسار الذهني للمتذوق بدءاً من صدمة الرؤية الأولى، مروراً بصياغة التساؤلات البصرية، واستكشاف البدائل المعنوية، ووصولاً إلى نقطة الاستبصار الجمالي (Aha-Experience) حيث يتأكد الطالب من استيعاب بنية العمل التشكيلية.

خامساً: جدول تفصيلي للمقارنة بين التذوق الفني المباشر والنقد الفني التحليلي

توضح المحاور التالية الفروق المنهجية والدلالية بين مفهومي التذوق والنقد في التربية الفنية:

وجه المقارنة	التذوق الفني (Art Appreciation)	النقد الفني (Art Criticism)
الطبيعة والجوهر	عملية انفعالية وجدانية وإدراكية تستهدف الاستمتاع والارتياح الجمالي للعمل الفني.	عملية عقلية تحليلية منظمة تستهدف تقويم العمل وتفكيك بنيته وتفسير قيمه.
درجة الموضوعية	تغلب عليها الذاتية والانطباع الشراكي الداخلي للمتلقي.	تعتمد على خطوات منهجية معيارية وموضوعية قابلة للنقاش والتفنيد.
النتاجات التعليمية	تنمية الحس الإنساني، الشغف بالجمال، وإرهاف المشاعر والذائقة البصرية.	تنمية مهارات التفكير النقدي، التحليل البصري، وصياغة الأحكام البرهانية.
الاستراتيجية المستخدمة	الحوار المفتوح، التأمل البصري، العصف الوجداني، والاستجابة المباشرة.	استراتيجيات النقد المبرمج (كأنموذج فيلدمان)، التحليل السيمائي، والمقارنة الفنية.
المستهدف التربوي	جميع الطلبة بمختلف مستوياتهم وبنائهم الفكري.	الطلبة في المراحل المتوسطة والمتقدمة لتطوير المعرفة الأكاديمية.

سادساً: استراتيجيات تدريس التذوق والتحليل الجمالي في الورشة الفنية

لضمان نقل المادة النظرية إلى مهارة عملية داخل المرسم، يجب على المعلم تفعيل استراتيجيات حديثة ومبتكرة:

1. استراتيجية "قراءة اللوحة" (Picture Reading Strategy):

تتم عبر تقسيم الصف إلى مجموعات تفاعلية، وعرض لوحة عالمية أو محلية، وتوزيع بطاقات ملونة تحمل أسئلة موجهة مثل:

- ما الذي تراه أولاً عند النظر للوحة؟ ولماذا جذبت عينيك؟
- كيف استخدم الفنان الألوان الدافئة والباردة لخلق شعور بالعمق أو التباين؟
- لو أزيل هذا العنصر من جهة اليمين، كيف سيتأثر توازن اللوحة؟

2. استراتيجية "المتحف الافتراضي والزيارات الميدانية":

استخدام الوسائط الرقمية المتعددة لزيارة المتاحف والمعارض التشكيليّة العالمية (كالمتحف الوطني للحديث أو متحف اللوفر)، ومطالبة الطلبة بكتابة تقرير تذوقي نقداني عن عمل فني مختار.

3. استراتيجية "لعب الأدوار النقدي" (Role-Playing as Art Critics):

تقمص الطلبة لأدوار النقاد الفنيين، الفنانين، وقيمي المعارض (Curators)، حيث يقدم كل طالب لوحته الخاصة ويشرح خطواتها، بينما يتولى الزملاء تقديم نقد بناء يعتمد على التغذية الراجعة الإيجابية والتعليل الجمالي.

سابعاً: العقبات والتحديات الميدانية في تدريس التذوق الفني وسبل معالجتها

تواجه عملية تدريس التذوق الفني في المدارس والمؤسسات التربوية عدة تحديات ميدانية تؤثر في فاعليتها:

التحدي الميداني	مظاهر المشكلة في المرسم	الحلول والمعالجات التربوية الموصى بها
الانحياز للواقعية الساذجة	رفض الطلبة للأعمال الفنية الحديثة والتجريدية واعتبارها "غير متقنة".	تدريب الطلبة على تنوع المدارس الفنية، وتوضيح أن الفن ليس مجرد محاكاة حرفية للطبيعة.
قلة الوسائل البصرية	الاعتماد على الشرح النظري المباشر بدون إتاحة نماذج بصرية جيدة.	توفير شاشات عرض، استخدام الملصقات الفنية عالية الدقة، والاعتماد على المكتبات الرقمية.
ضعف الرصيد اللغوي	عجز الطالب عن التعبير عن مشاعره البصرية بلغة نقدية سليمة.	تزويد الطلبة بـ "قائمة مصطلحات جمالية" تضم مفردات التذوق البصري (Glossary).
ضيق الوقت المخصص	التركيز الكامل على الإنجاز العملي وإهمال الجانب الجمالي والنقدي.	دمج التذوق والنقد ضمن خطوات الدرس العملي (مرحلة التقييم الذاتي والتشاركي).

ثامناً: نمو الذائقة الجمالية عبر المراحل العمرية للطلبة

تتطور القدرة التذوقية لدى الأطفال والناشئين وفق مراحل نمو إدراكي ونفسي محددة (كما أشار مايكل بارسونز M. Parsons):

- **مرحلة التفضيل القائم على الموضوع (Favored Subject Matter):** تجذب الأطفال الصغار للوحة لمجرد حبهم للموضوع الممثل فيها (كوجود حيوان أليف أو لون مفضل) بغض النظر عن الجودة الفنية.
- **مرحلة الواقعية والجمالية (Realism and Beauty):** يقيّم المتعلم اللوحة مدى قربها من الواقع والمحاكاة الحقيقية للأشكال والأشخاص.
- **مرحلة التعبير والتجربة الذاتية (Expressiveness):** يبدأ المتعلم في إدراك الخصائص الانفعالية والوجدانية للعمل واستيعاب مشاعر الفنان المخبوءة.
- **مرحلة البنية والأسلوب (Style and Form):** تدرة المتعلم على تمييز أساليب الفنانين المتباينة وعلاقة العمل بالسياق التاريخي والفني.
- **مرحلة الحكم الاستقلالي (Autonomy):** تكوين حكم جمالي مستقل ومبني على معايير نقدية موضوعية ورؤية فلسفية واسعة.

تاسعاً: نموذج تطبيقي لدرس تذوق ونقد عمل فني (جدارية أو لوحة تشكيلية)

فيما يلي مخطط تطبيقي متكامل يمكن لمدرس التربية الفنية الاستعانة به لإدارة حصة التذوق الفني:

بطاقة تحليل عمل فني:

- **عنوان العمل:** "لوحة التراث والركام"
- **الخامة والتقنية:** زيت على كانفاس مع تقنيات الملمس البارز (Mixed Media)
- **المستهدف:** طلبة المرحلة الثالثة - قسم التربية الفنية

1. **مرحلة التهيأة والإثارة البصرية (5 دقائق):** عرض العمل الفني بصمت لمدة دقيقة كاملة لتهيئة مناخ التأمل الإدراكي الخالص، مع حظر الكلام القاطع.
2. **مرحلة التفكيك البصري (15 دقيقة):** تطبيق خطوات نموذج "فيلدمان":
   - تحديد العناصر الخطية، التباينات اللونية بين الألوان الترابية والألوان المضيئة.
   - تحديد مركز السيادة البصري المتمثل في حركة الضوء المنبعث من منتصف العمل.
3. **مرحلة الحوار المناقشة الجماعية (15 دقيقة):** طرح تساؤلات المفتوحة حول دلالات الأشكال التراثية والملمس الخشن وطبيعة العلاقات الإيقاعية بين الأجزاء.
4. **مرحلة التقويم والتغذية الراجعة (10 دقائق):** كتابة كل طالب لفقرة نقدية موجزة تعكس رأيه المبرر موضوعياً تجاه اللوحة وتحليل قيمتها الجمالية.

عاشراً: الخلاصة والتوصيات التربوية

إن التذوق الفني والتحليل الجمالي ليس مجرد نشاط ثانوي أو ترفي في منهج التربية الفنية، بل هو العصب الرابط الذي يحول الخبرة الفنية إلى أداة بناء حضاري وفكري. ومن خلال تمكين الطلبة من التذوق والنقد المنظم، فإننا نغرس في نفوسهم القدرة على قراءة العالم البصري المحيط بهم بفهم وعمق، ورفض التلوث البصري، والاعتزاز بالقيم الجمالية للتراث والفن المعاصر على حد سواء.

التوصيات:

- ضرورة تخصيص جزء ثابت من كل جلسة مرسميه للتحليل والتذوق النقدي للأعمال المنجزة من قبل الطلبة.
- تضمين المفاهيم الاستطيقية والنقدية بصورة مبسطة ومقترنة بالتطبيقات العملية للخامات والتكنيك.
- تشجيع الطلبة على إعداد "ملف التذوق البصري" (Art Journal) لتدوين انطباعاتهم وتحليلاتهم للوحات الفنية المعروضة في المعارض المحلية والعالمية.